لماذا جاء المسيح

ينابيع الخلاص ١٩ لماذا جاء المسيح تأليف / د. ل. مودى تعريب / فؤاد زكى الطبعة الخامسة ١٩٩٢

يطلب من:
لجنة خلاص النفوس للنشر

بسم الآب و الابن و الروح القدس
إله واحد . آمين

مطبعة الخلاص

لماذا جاء المسيح؟

« لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لو١٩: ١٠)

في هذه العبارة الموجزة يبين لنا الكتاب المقدس بوضوح تام الهدف من مجيء الرب يسوع المسيح إلى العالم. لقد أتى لكي يتمم العمل الذي أرسله الآب ليعمله، و الآب لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم «لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. » (يو ٣: ١٧). لقد جاء لكي يتمم مشيئة الآب في خلاص البشرية المسكينة الهالكة، و لذلك كان شغله الشاغل في زمن وجوده على الأرض هو أن يطلب و يخلص ما قد هلك.

و هل يفشل من يرسله الله ليتمم عملاً ما؟.

لقد أرسل الله موسى قديماً لكي يقود شعبه من ذل العبودية إلى أرض الموعد، الأرض التي تفيض لبناً و عسلاً، فهل فشل؟ ربما لو شاهدناه و هو يقف في بلاط فرعون، و هذا الأخير يخاطبه في غلطة و خشونة قائلاً:" من هو الرب حتى اسمع لقوله"، ثم يطرده من حضرته، لظننا أنه فشل. لكن الرب كان مع عبده، و مع شعبه، فأخرجه من ارض العبودية بيد قوية و ذراع مقتدرة.

لقد أرسل الله إيليا ليقف أمام آخاب الملك و يواجهه بكل قوة و جسارة قائلاً: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هَذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي» (١

مل ١٧: ١) ، و هكذا كان فأغلق الرب السماء ثلاث سنين و ستة أشهر فلم تمطر.

و ها هو الله يرسل ابنه الوحيد الحبيب إلى العالم، فهل نظن أن هناك احتمالاً و لو ضئيلاً أن يفشل في إتمام ما أُرسل لأجله؟ شكراً لله إلى الأبد فإن الكتاب المقدس يجيبنا على هذا السؤال قائلاً: « فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ. » (عب ٧: ٢٥).

بارتيماوس

لنتأمل معاً في الجزء الأخير من الإصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا، هناك نرى الرب يسوع يمر بالقرب من أريحا فيجد على الطريق أعمى جالساً يستعطى. ربما كان ذلك المسكين قد اعتاد الجلوس في نفس المكان لعدة سنوات مضت، ففي كل صباح كان يقوده طفل صغير إلى حيث يجلس على الطريق، و طوال النهار كان يمد يده للمارين يسألهم صدقة، إلى أن تميل الشمس للغروب فيأتي الطفل ليعود به مرة أخرى من حيث أتى. و يوماً ما – بينما كان يجلس هناك – أتاه أحدهم قائلاً: " يا بارتيماوس، عندي لك أخبار سارة"، فيسأله بارتيماوس قائلاً " ترى ما هي هذه الأخبار؟ " ، فيجيبه بالقول: " يوجد شخص يستطيع أن يهبك البصر"، فيعقب ذلك الأعمى المسكين قائلاً:

- "آه، كلا. لا أعتقد. بل لا أمل عندي في أن تنفتح عيناى يوماً ما لأرى النور، ربما يحدث هذا في العالم الآتي، أما في هذا العالم فقد قضى على أن أعيش في ظلام دائم".
- " و لكن دعني أخبرك أنني منذ عدة أيام – عندما كنت في أورشليم – شاهدت النبي الجليلى العظيم و هو يهب البصر لإنسان مولود أعمى".

عندئذ أشرق نور الأمل في قلب ذلك المسكين لأول مرة في حياته، و سأل محدثه في تلهف قائلاً:

- "كيف حدث هذا؟".
- " لقد كان الأمر عجيباً للغاية، فإن ذلك النبي تفل على الأرض و صنع من التفل طيناً و طلى بالطين عيني العمى، و قال له اذهب و اغتسل في بركة سلوام، فمضى و اغتسل و أتى بصيراً. لقد تحدثت إلية و لم أر إنسانا في كل أورشليم له عينان أفضل من عينيه".
- " و كم تقاضى ذلك النبي من الأعمى الذي أبصر".
- " لا شيء، لقد وهبه البصر مجاناً. ما عليك إلا أن تطلب منه ما تريد و هو بكل ترحيب سوف يستمع إليك و يهبك ما تطلب. لست بحاجة لأن توسط لديه عظيماً أو غنياً فهو لا يعير هذه الاعتبارات التفاتاً ، فالكل لديه سواء".
- " ما اسمه؟".
- "يسوع الناصري، و إذا حدث و مر من هنا إياك أن تدعه يمضى بدون أن تعرض عليه حالتك".
- " بكل تأكيد، وسوف أترقب مروره من هنا بكل تدقيق".

مضت عدة أيام على ذلك الحديث، وإذا كان بارتيماوس يجلس في مكانه المعتاد يطلب صدقة من المارين سمع وقع أقدام و ضوضاء شديدة لجمع غفير يقترب، فسأل أحدهم قائلاً: "أخبرني ما هذا؟ من هذا؟" . فأجابه: "إنه يسوع الناصري يمر من هنا". فقال في نفسه: "إنه ذاك الذي سمعت عنه أنه يهب البصر للعميان". و في تلك اللحظة إذ كان الجمع قد اقترب منه أكثر رفع صوته و صرخ بصوت عال قائلاً: "يا يسوع ابن داود ارحمني". و إذا واحد من الذين يرافقون يسوع يأتي إليه و يزجره قائلاً: "صه اسكت"، و هو إذ فعل هذا كان يظن أنه لا يليق أن يترك ذلك الأعمى البائس يصرخ هكذا فيزعج يسوع الذي كان في طريقه إلى أورشليم ليتوج ملكاً عليها. آه، إن البشر لم يعرفوا حقيقة رب المجد، الذي كان يلذ له أن يسكت كل موسيقى السماء و تسبيحات الملائكة ليسمع أنين المساكين الصارخين إليه من الأرض ، و الذي ليس أحب لديه من صوت و صلوات الخطاة التي يرفعونها إليه طالبين الخلاص.

لكن بارتيماوس لم يبال بانتهار الناس، بل صرخ أكثر كثيراً قائلاً: "يا ابن داود ارحمني"، و حالما وصل صوته إلى أذني ابن الله توقف و طلب من الذين حوله أن يحضروا ذلك الإنسان إليه، فقال أحدهم لبارتيماوس: "قم هوذا يناديك"، فقام الأعمى، و بدلاً من مزاحمة الناس له بدون اكتراث إذا بالجميع يفسحون له الطريق و يقتادونه في إشفاق إلى أن أوقفوه أمام يسوع، فسأله الرب قائلاً: "ماذا تريد أن أفعل

بك؟"، فأجابه قائلاً: "يا سيد أن أبصر"، فقال له الرب: "أبصر إيمانك قد شفاك"، و في الحال انفتحت عيناه و أبصر.
كنت أود أن أكون هناك لأرى ذلك المنظر الجميل، فان أول من شاهده ذلك الأعمى بمجرد أن انفتحت عيناه هو شخص رب المجد الذي كان ينظر إليه في حنان و حب لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنهما، و عندئذ هتف مع الجمع ممجداً و مقدماً حمداً و شكراً لله الذي فعل معه هذا العمل العظيم العجيب.

زكا

و إني أتصور بارتيماوس و هو يسرع داخلاً إلى أريحا لكي يخبر زوجته و أهله بما حدث له، و بينما هو يسرع الخطى رآه أحد معارفه فنظر إليه بدهشة و سأله قائلاً: "بارتيماوس! هل هذا أنت حقاً!؟" ، فأجابه قائلاً: "نعم أنا هو". فاستطرد ذلك الصديق قائلاً: "حقاً، إني أظن أنك هو فعلاً، لكنى لا أستطيع أن أصدق عيني، كيف حصلت على البصر؟!".
فأجابه بارتيماوس بالقول: "لقد تقابلت مع يسوع الناصري و هو يمر بالقرب من المدينة و سألته أن يرحمني و يمنحني البصر، و هكذا فعل". فسأله محدثه في تلهف قائلاً: "يسوع الناصري! هل هو بالقرب من هنا؟ " . فأجابه بالقول : "نعم إنه هنا، و أظنه الآن قد وصل بالقرب من الباب الغربي للمدينة".
عندئذ أسرع ذلك الإنسان في طريقه لكي يرى يسوع، و عندما وصل إلى المكان الذي يمر منه لم يستطيع حتى أن

يلمحه من بعيد بسبب الجمع الغفير الذي كان يحيط به، لكنه لم يفشل، و بسرعة تسلق شجرة جميز بقرب الطريق منتظراً اللحظة التي فيها يمر يسوع من تحت الشجرة لكي يراه. كان المنظر غريباً، لأن ذلك الرجل كان من أغنياء المدينة المعروفين، و من كان يظن أنه يتصرف هكذا كطفل فيتسلق جميزة و يجلس مختبئاً بين أغصانها في انتظار مرور يسوع!!.

و بعد فترة إنتظار قصيرة وصل الجمع إلى ذلك المكان، فابتدأ الرجل يحدق ببصره إلى حيث ينظر الجميع. نظر بطرس و قال في نفسه: "كلا، ليس هذا"، ثم نظر يوحنا و قال لنفسه: "كلا و ليس هذا أيضاً"، و أخيراً استقرت عيناه على وجه ذاك الأبرع جمالاً من كل بنى البشر، فهتف قلبه في داخله قائلاً: "هذا هو". و بينما الرجل يحدق في وجه ابن الله من بين فروع الجميزة ، إذ بيسوع يصل إلى مقابل الشجرة فيقف و ينظر إلى فوق و يخاطب الرجل قائلاً: "زكا، أسرع و انزل".

ربما كان أول فكر تبادر إلى ذهن زكا في تلك اللحظة هو هذا: "من أخبره عن اسمى؟"! و ترى ماذا يريد منى؟!". لقد عرف يسوع زكا، و هو يعرف كل خاطئ و يناديه باسمه. أيها القارئ العزيز، إن يسوع يعرفك، و يعرف ظروفك، و يعرف المكان الذي أنت فيه الآن، و يعرف كل ما يتعلق بك و ما لا يخطر على بالك إطلاقاً أن شخصاً ما يعرفه عنك. أنت لا تستطيع أن تختبئ منه لأنه يراك حيث أنت.

عندما صعد زكا إلى الجميزة كان إنساناً خاطئاً، و عندما نزل إلى الأرض كان قد أصبح إنساناً متجدداً، فلابد أنه تجدد في الفترة ما بين دعوة الرب له و هو فوق الشجرة و بين نزوله إلى الأرض، فعندما قال له الرب "أسرع أنزل" أسرع فعلاً و نزل و قلبه فرحاً. و هكذا يحدث مع جميع الناس، فقبول المسيح يجل بالسرور للنفس و يمتع القلب الحزين بالفرح، و حيثما يوجد المسيح تهرب الخطية و الكآبة و الحزن و يحل بدلاً منها البر و الفرح و السلام. أيها القارئ العزيز، ألا تفعل كما فعل زكا فتنزل من علياء كبريائك و تقبل يسوع؟

قد يتساءل أحدهم قائلاً: " كيف عرفت أن زكا قد تجدد؟"، و لقد أجاب زكا بنفسه على هذا السؤال بقوله للسيد: « هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ» (لو١٩ : ٨). و إني أتصور أحد خدام زكا - في صباح اليوم التالي – و هو يقرع باب واحد من الجيران و معه كيس به مبلغ مائة دينار ، و إذ يقدمه إلى ذلك الجار يسأله ذلك الأخير قائلاً:" ما هذا؟"، فيجيبه الخادم بالقول: "لقد اغتصب منك سيدي منذ عدة سنوات مبلغ خمسة و عشرين ديناراً، و ها هو يصحح موقفه معك بهذا المبلغ؟. لقد تجدد زكا في لحظة، و أنني أتمنى أن يحدث هذا في أيامنا لبعض الخطاة مثلما حدث مع زكا لكي يتوقف اعتراضات أولئك الذين لا يؤمنون بالتجديد الفجائي.

ذهب الرب إلى بيت زكا ، فابتدأ الفريسيون يتذمرون قائلين: «إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ» (لو١٩: ٧). البعض يظنون

أنه لا يوجد فريسيون في هذه الأيام، لكنني أستطيع أن أرى لهم أحفاداً في كل عصر و في كل مكان، تلك الفئة من المسيحيين بالاسم الذين لا هم لهم إلا الانتقاد و التذمر و مقاومة عمل الله، و لمثل هؤلاء يوجه الرب هذا القول الحاسم الذي وجهه للفريسيين في القديم: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب و يخلص ما قد هلك".

ما قد هلك

منذ عدة سنوات دعيت لكي أعظ في أحد السجون، و نظراً لعدم وجود كنيسة ملحقة بذلك السجن فقد كان على أن ألقى عظتي و أنا أقف في ممر طويل تقع على جانبيه غرف المسجونين، بدون أن أرى أحد منهم. و هكذا – و للمرة الأولى في حياتي – وعظت و أنا لا أرى أمامي إلا جدران صماء بعد لحظة بدأت أزور المسجونين كل واحد في غرفته على انفراد لكي أعرف مدى تأثير كلمة الله عليهم. ذهبت إلى أول غرفة في الممر، و من خلال النافذة تحدثت إلى من بداخلها قائلاً: "كيف الحال معك يا صديقي؟". فأجابني قائلاً: "حسناً أيها الغريب، لست أحب أن تأخذ عنى فكرة ردية بسبب وجودي في هذا المكان. فالحق أنني قد أتيت إلى هنا بسبب شهادة الشهود الكذبة الذين شهدوا ضدي بالباطل"، فقلت في نفسي أن هذا الإنسان ليس في حاجة إلى يسوع لأنه لا يحس أنه هالك.

و هكذا صرت أتنقل من غرفة إلى أخرى و من مسجون إلى آخر و كل واحد منهم يحاول أن يبرئ نفسه بكيفية أو بأخرى

فهذا قبض عليه لأنه يشبه المجرم الحقيقى، و ذاك أدين لأنه صديق اللص الذي أرتكب جريمة السرقة أما هو فلم يفعل شيئاً، و ثالث قد أستأنف الحكم الصادر ضده و هو واثق أن القضاء سوف يبرئ ساحته في آخر الأمر. و هكذا مررت على جميع المسجونين تقريباً و أنا أسمع عبارات متشابهة من هذا القبيل، حتى خيل لي أنني لم أصادف في حياتي خارج السجن مجموعة من الأبرياء مثل المجموعة الموجودة بداخلة. و بهذه الكيفية كان أولئك المسجونين يحاولون أن يستروا أنفسهم في أردية البر الذاتي البالية المهلهلة، تماماً مثلما فعل آدم و حواء في جنة عدن قديماً، و تلاهما أحفادهما من بعدهما طوال ستة الآلاف سنة التي عاشتها البشرية منذ آدم حتى الآن، و هذا ما جعلني أحس بمرارة الخيبة و الفشل حتى ظننت أن الرسالة التي ألقيتها قد أثرت في جدران السجن تأثيراً أفضل من تأثيرها على المسجونين أنفسهم.

إلى أن وصلت إلى غرفة في نهاية الممر، و هناك وجدت أحد المسجونين جالساً مسنداً ذراعيه على ركبتيه، و واضعاً وجهه بين يديه، و الدموع تنهمر على وجنتيه بغزارة، فسألته في إشفاق قائلاً: "كيف حالك أيها الصديق!". فرفع وجهه إلى – و عليه كانت ترتسم تعبيرات الندم و اليأس – و أجابني قائلاً: "آه، أن خطاياي أعظم من أن تحتمل"، فقلت له:

- "شكراً لله على ذلك".

- "ماذا؟! ألست أنت الواعظ الذي كان يعظمنا منذ فترة وجيزة؟!."
- "نعم".
- "أظن أنك قلت أنك صديق".
- "نعم أنا كذلك".
- "و مع هذا فأنت فرح لأن خطاياي أعظم مما أستطيع أن أحتمل!".
- دعني أوضح لك الأمر، فإن كانت خطاياك أعظم من مما تستطيع أن تحتمل، فإن في مقدورك أن تلقيها على شخص آخر يسعده أن يحملها نيابة عنك".
- "و من هو هذا الشخص؟".
- "الرب يسوع المسيح".
- "إنه لن يحمل خطاياي".
- "و لماذا يا ترى؟".
- "لأنني أخطأت ضده منذ أن وجدت على هذه الأرض حتى الآن".
- "هذا لا يغير من الوضع شيئاً فأن دم يسوع المسيح ابن الله يطهر من كل خطية".

و هكذا ابتدأت أحداثه عن يسوع الذي جاء إلى العالم لكي يطلب و يخلص ما قد هلك، لكي ينادى للمأسورين بالإطلاق و يرسل المنسحقين في الحرية «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وِلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي

الْحُرِّيَّةِ » (لو ٤: ١٨)، و كان حديثي بالنسبة له كأس ماء بارد يقدم لإنسان قد جف حلقه عطشاً من طول السفر في البرية تحت الشمس المحرقة. و هكذا دائماً يكون الحديث عن يسوع – بالنسبة لكي إنسان يعتقد أنه هالك بسبب خطاياه – فهو المكتوب عنه أنه قد « الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا. » (رو ٤: ٢٥).

استمر حديثي مع ذلك الإنسان البائس فترة طويلة و هو غير قادر مقتنع أن مجرماً محطماً نظيره يستطيع أن ينال الخلاص. ابتدأ يعدد لي خطاياه الكثيرة، و يستعرض ماضيه الأسود المليء بالشرور و الآثام، و كانت إجابتي البسيطة على هذا كله أن دم يسوع المسيح يستطيع أن يلاشى كل خطاياه و يطهر جميع آثامه. ركعنا على الأرض سوياً لنصلى، هو داخل الزنزانة و أنا خارجها، و كما فعل العشار المسكين قديماً فعل ذاك السجين إذ رفع صوته في صلاة مختصرة قائلاً: "ارحمني يا رب، أنا المجرم المحطم الهالك". قمنا من الصلاة، و مدت يدي من خلال قضبان النافذة لأصافحه، فسقطت عليها قطرات دموع التوبة التي كانت تنسكب غزيرة من عيني ذلك الإنسان. كان يؤمن أنه هالك، و قد استطعت بنعمة الله أن أوصل إليه هذه الحقيقة الخالدة أن يسوع قد جاء لكي يطلب و يخلص ما قد هلك، و هكذا تركته بعد أن ودعته أن أصلى من لأجله فيما بين الساعة التاسعة و العاشرة مساء ذلك اليوم.

و في صباح اليوم التالي أحسست أنه ينبغي على أن أعود لزيارة ذلك السجين مرة أخرى، و هكذا فعلت. و حالما أبصرته

لاحظت شعور اليأس و الندم قد تركه تماماً و حل بدلاً منه نور هادئ عجيب يعبر عن السلام و الاطمئنان الذي يغمر قلبه، و عوضاً عن الحزن و الآلام إذا بعينيه تفيضان بدموع الشكر و الفرح، و بالرغم من الظلام الذي يعيش فيه فقد أشرق نور شمس البر في قلبه فحول ظلامه إلى نور أفضل من لمعان الشمس، فأحسست و هو يصافحني أن روحه تقفز في داخله طرباً. قلت له: "حدثني عما حدث لك". فأجابني قائلاً: "حسناً، لست أعلم ماذا كان الوقت بالضبط، ربما كان حوالي منتصف الليل، عندما أحسست بحمل خطاياي الثقيل و قد أزيل عن كاهلي، و أنا أعتقد أنني أسعد إنسان في كل الوجود". و أنا أيضاً أعتقد أنه كان كذلك حقاً، و هكذا تركته مستودعاً إياه لنعمة المسيح إلى أن نلتقي في عالم أفضل.

هل تستطيع أن تخبرني عن السبب في مجيء ابن الله إلى ذلك السجن المظلم في تلك الليلة بالذات؟ و ما جعله يدخل إلى تلك الزنزانة بعينها ليلتقي مع ذلك الإنسان البائس المحطم؟ لأنه قد جاء لكي يطلب و يخلص ما قد هلك.

مصير أبدى

ألا تدفعنا هذه الحقيقة لأن نقوم من غفلتنا، و نصحو من نومنا، و نفكر في مصيرنا الأبدي؟ فلنتيقن أننا بدون المسيح سوف نهلك لا محالة، و ما لم نحصل على الخلاص سوف تكون نهايتنا بحيرة النار المتقدة. أن كنا نهتم بمن يفقد ثروته، و تتحرك قلوبنا و عواطفنا اشفاقاً بمن يفقد صحته، أفلا نهتم

بالأولى بأنفسنا و بحالتنا الروحية إذ نحن في خطر أن نفقد أروحنا الخالدة أبدياً.

يوماً ما كنت في عيادة أحد الأطباء عندما حضرت أم تحتضن طفلاً صغيراً لا يزيد عمره عن خمسه أو ستة شهور، و طلبت من الطبيب أن يفحص عيني الطفل و لما أجابها الطبيب إلى أخبرها آسفاً أن الطفل أعمى و سيظل كذلك طول حياته، و حالماً سمعت الأم هذا القول ضمت الطفل بشدة إلى صدرها و صرخت صرخة حزينة مدوية تعبر عن أعمق مشاعر المرارة و الألم، و كانت صرختها كنصل حاد اخترق قلبي فلم أستطع أن أتمالك نفسي من البكاء، و هكذا حدث مع الطبيب أيضاً. و من خلال دموعها كانت الأم تتحدث متقطعاً قائلة: "آه يا ولدى، هل حقاً أنك لن ترى أمك التي ولدتك؟! آه أيها الطبيب، أنني لا أستطيع أن أحتمل. طفلي الحبيب أعمى!. آه يا ولدى!. آه يا حبيبي!؟. كان المنظر مؤثراً للغاية بكيفية يتحرك لها أشد القلوب قساوة، لكن هل يمكن أن تنزع عيناى من رأسي و ادخل القبر أعمى من أن أفقد حياتي الأبدية. أعطاني الرب طفلين، و هو وحده يعلم مقدار حبي لهما، و مع ذلك فأنني أفضل أن تقلع أعينهما من رأسيهما من أن أراهما يعيشان حياة الشر و البعد عن الله و تنتظرهما أبدية تعيسة بغير مسيح و بغير رجاء.

يسوع وحده هو الذي عرف حقيقة نفس الإنسان، و هذا هو ما دفعه لأن يأتي إلى الجلجثة، و عندما مات هناك كان ذلك لكي يخلص النفوس الهالكة، نفسك و نفسي. آه أيها القارئ العزيز،

إنني أناشدك باسم المسيح أن لا تهدأ و لا يهنأ لك بال حتى تتأكد أنك قد حصلت على الخلاص و نجوت من الهلاك الأبدي.

لمَنْ تبيع نفسك

هناك قصة تحكي عن الواعظ الشهير "رولاند هيل"، أنه بينما كان يعظ في أحدى المدن في الهواء الطلق مرت سيدة "آني ايرسكين" بالقرب من مكان الاجتماع، فلفت نظرها الجمع المحتشد، و لما استفسرت عن الأمر علمت أن رولاند هيل يعظ، فأمرت سائق عربتها أن يدنو بها من حيث يقف الواعظ حتى تستطيع أن تستمع لما يقول، و عندئذ لمحها رولاند هيل و عرف شخصيتها، لكنه استمر في إلقاء العظة. و فجأة توقف و أعلن للجميع أن لديه شيئاً ثميناً يريد أن يبيعه، فالجميع أرهفوا السمع ليعرفوا ما هو هذا الشيء الذي أحضره الواعظ معه ليبيعه أثناء الخدمة بهذه الكيفية، و استمر رولاند هيل موجهاً حديثه للجمع قائلاً: "سوف يتم البيع بالمزاد، و سوف نبيع في هذه الليلة شيئاً يستحق أن يدفع فيه ثمن أغلى من تاج أوروبا بأسرها، أنه نفس السيدة آني ايركسن، لننصت فإني أسمع صوت مشترى يتقدم، من هذا؟ أنه الشيطان. حسناً، ماذا تدفع ثمناً لها؟، أدفع الغنى، و الشهرة، و العظمة،و الملذات، و كل مسرات و مباهج الأرض، أدفع العالم كله ثمناً لها". هل من مشتر آخر؟ نعم. من هذا؟ أنه يسوع. ماذا تدفع ثمناً لها؟ أدفع السلام،و الفرح، و الراحة التي لا يعرفها العالم، أقدم الحياة الأبدية ثمناً لها"، و عندئذ التفت إلى السيدة و قال لها: "لقد سمعت ما عرضه كل منهما، فلمن تبيعين نفسك؟"،

و عندئذ أمرت السيدة سائق عربتها أن يفتح الباب، و بسرعة شقت طريقها وسط الجمع المحتشد و صاحت قائلة: "أنني أقدم نفسي للرب يسوع المسيح، و أرجو أن يقبلها".

قد تكون هذه القصة حقيقة و قد لا تكون، لكن على الأقل هناك شيء واحد حقيقى فيها، و هو أن هناك اثنين يتقدمان لشراء نفسك الغالية، و عليك أن تقرر لمن منهما تبيعها. أن الشيطان يقدم لك أشياء لا يملكها، فهو الكذاب و أبو كل كذاب، و يا لشقاء النفس التي تعيش على أمل أن يتمم وعوده لها. لقد كذب على آدم و خدعه و سلبه كل النعيم الذي كان يعيش فيه و تركه مشرداً بائساً، و منذ آدم حتى الآن و هو لا يزال يخدع الناس بأكاذيبه و وعوده الزائفة. و في كل مرة كانوا يكتشفون – لكن بعد فوات الآوان – أنهم كانوا يجرون وراء سراب خادع.

أما الرب يسوع المسيح فأنه قادر على أن يهب ما يعد به، و هو يعد بأن يهب الحياة الأبدية لكل نفس هالكة، لأن هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رو ٦: ٢٣)، فهل تقبل إليه؟.

منذ مدة أخبرني أحدهم أنه مهتم بطلب الخلاص لكنه يحس أن الله لا يهتم و لا يفكر فيه و لا يعنيه خلاصه، فسألته قائلاً: :ماذا تنتظر أن يفعله لك؟"، فأجابني قائلاً: "أنتظر أن يدعوني، و حالما يفعل ذلك فإني على استعداد لتلبية دعوته". قد يكون هذا موقف البعض ممن يقرأون هذه السطور، و لمثل هؤلاء أود

أن أؤكد أنه لا يوجد إنسان في كل الوجود لم يتعامل معه روح الله بقوة في فترة ما من فترات حياته، فأنه حالما سقط آدم قديماً إذ بالله يفتش عنه و يناديه باسمه. لقد خاف و ذهب ليختبئ بين أشجار الجنة، لكن الله ظل يفتش عنه و يناديه إلى أن أجاب نداءه. و منذ ذلك الحين حتى الآن و الله يفتش عن النفوس الضالة و يسعى وراءها إلى أن يجدها و يعود بها إلى الحظيرة.

الخروف الضال

و يحدثنا السيد المسيح له المجد في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا عن إنسان عاد بخرافه من الحقل إلى الحظيرة، و بينما الخراف تدخل الحظيرة وقف هو عند الباب و ابتدأ يعدها: واحد، اثنين، ثلاثة، ... إلى أن وصل إلى تسعة و تسعين، لكن خرافه مائة، فظن أنه ربما قد أخطأ العدد، فأعاد الكرة مرة أخرى فوجد أنها فعلاً تسعة و تسعون، فعلم يقيناً أن أحد خرافه فُقد. فماذا فعل يا ترى؟ هل قال في نفسه: "لأتركه فقد يستطيع أن يجد الطريق إلى هنا " ؟ لقد خرج لتوه ليفتش على خروفه الضال. اجتاز الوادي، و صعد إلى الجبل، و ظل يفتش و ينادي هنا و هناك حتى سمع صوت ثغاء خافت ضعيف، فاتجه إليه. فوجد خروفه الضال يرقد متعباً معيياً، فحمله على منكبيه فرحاً و عاد به إلى الحظيرة.

هل فتش الخروف عن الراعي؟ كلا، بل الراعي هو الذي ذهب ليبحث عن خروفه إلى أن وجده. إنه لم يقم وزناً لما قد يصادفه من متاعب و ما قد يلاقيه من مشقات، بل إنه لم يفكر إطلاقاً

في كل هذه الاعتبارات لأن تفكيره كان مرتكزاً في شيء واحد و هو أن يجد خروفه المفقود، و كان فرحه عندما عثر عليه أكثر بكثير جداً من كل المجهودات التي بذلها للعثور عليه. لقد فرح الخروف بكل تأكيد عندما أعيد مرة أخرى إلى الحظيرة وسط رفاقه، لكن فرح الراعي كان أكثر و أعظم حتى أنه ذهب و دعا أصدقائه و جيرانه ليفرحوا معه لأنه قد وجد خروفه الضال.

الدرهم المفقود

و أيضاً هناك المرأة التي كان لها عشرة دراهم، و التي لسبب أو لآخر أخرجت نقودها و بدأت تعدها و إذا بها تسعة فقط، فجعلت تبحث في جيوبها و تفتش هنا و هناك في جميع ملابسها لكنها لم تعثر على شيء، فتيقنت أنها قد فقدت أحد دراهمها. ابتدأت تفكر و تحصر الأماكن التي ذهبت إليها في ذلك اليوم و التي يحتمل أن يكون قد أضاعت درهمها فيها ، و أخيراً أستقر رأيها على أن الدرهم لابد و أن يكون قد فقد منها في البيت، فهل قالت في نفسها: "لأستريح الآن بعد عناء العمل في البيت طوال اليوم، و غداً أفتش عن الدرهم المفقود"، أو هل قالت: "لا داعي للاهتمام و التعب، فقد أعثر على درهمي المفقود يوماً ما"؟ كلا، لقد قامت لتوها، و أوقدت سراجاً و أخذت المكنسة في يدها، و ابتدأت تكنس البيت و تفتش باجتهاد في جميع أركانه. لقد أزاحت كل قطع الأثاث من مكانها، و بذلت في ذلك مجهوداً مضنياً ، لكنها لم تهتم بما قد يصيبها من التعب، لأنها كانت تهتم أولاً بان تعثر على درهما المفقود، و عندما عثرت عليه كان فرحها عظيماً جداً حتى أنها

أسرعت و دعت صديقاتها و جاراتها قائلة: «وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ.» (لو١٥: ٩).

من الذي فرح يا ترى؟ الدرهم؟ كلا، إنها المرأة التي وجدت الدرهم. ربما أصبح الدرهم - بعد أن عثرت المرأة عليه – في حالة أفضل إذ مسحت عنه الغبار الذي علق به و أعادته إلى حافظة نقودها مع بقية الدراهم - لكن المرأة هي التي فرحت، و كان فرحها عظيماً.

هكذا فعل ربنا يسوع المسيح له المجد، فهو يفتش عن الضال، و يبحث عن المفقود، و لا يبالي في سبيل ذلك بما قد يلاقيه من تعب و إهانة و ازدراء حتى و لو أدى به الأمر إلى الموت على خشبة العار على رابية الجلجثة، فالموت عنده ليس شيئاً إذا ما قورن بالفرح العظيم الذي يكون له عندما يعثر على واحد من خرافه الضالة.

خاطئ جداً

مرة قال أحدهم أنه خاطئ كبير جداً بدرجة لا تجعله يفكر- مجرد التفكير – في احتمال حصوله على الخلاص، و هو بذلك قد نسى أن التهمة الوحيدة التي وجهها الفريسيون إلى رب المجد هي أنه «فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ.» (لو١٥: ٢). إن يسوع على أتم استعداد لأن يقبل أولئك الخطاة جداً، بل إنه يرحب بهم و يفتش عنهم، لذلك فحالما تشعر في نفسك تماماً بأنك خاطئ جداً ثق أن

يسوع يفتح لك أحضانه في تلك اللحظة بالذات لكي يقبلك و يقبلك و يهبك خلاصاً أبدياً.

ربما تقول إن قلبك قاس، لا بأس ، فأنت في حاجة إلى يسوع لكي يلين قلبك القاسي، و كلما ازداد قلبك قساوة ازددت إحتياجاً إلى يسوع. و إن كانت خطاياك تقف أمامك كجبل ضخم، فأعلم تماماً أن دم يسوع يطهر من كل خطية، بل إنه لا توجد خطية – مهما كان سوادها و جسامتها و شناعتها – إلا و دم يسوع يقدر أن يطهرها. لذلك يا من تعتقد في نفسك أنك خاطئ كبير جداً ، تعال إليه فهو الذي جاء لكي يطلب و يخلص ما قد هلك.

مرة أتاني أحدهم، و كان شاباً مستهتراً ماجناً قد باع نفسه لإبليس مع حفنة من أصدقاء السوء و رفقاء الشر. و كان يحاول بقدر الإمكان أن يقضى أكبر وقت ممكن خارج البيت ليتفادى سماع صوت أمه التقية التي كانت تصلى لأجله ليل نهار. إلى أن ماتت تلك الأم القديسة، فابتدأ يستفيق من غفلته و يدرك شناعة الحالة التي هو فيها. ففكر في نفسه أنه يجب عليه أن يستبدل أصدقاءه الأشرار بآخرين يشجعونه على السير في الطريق الصحيح، فتقدم بطلب لعضوية إحدى الجمعيات، لكن طلبه رُفض لأن المسئولين في تلك الجمعية علموا عنه أنه شاب سكير. تقدم لعضوية جماعة أخرى، لكن ظل ماضيه الشرير يلاحقه أينما يذهب، فرُفض طلبه للمرة الثانية. و يوماً أعطاه أحدهم دعوة لحضور الاجتماع، فذهب في الموعد و المكان المحددين في الدعوة و هناك سمع عن يسوع الذي

أتى خصيصاً لكي يخلص الخطاة و الأشرار. كان المتكلم يخاطب الحاضرين – و كأنه يوجه الحديث إليه هو بالذات – قائلاً: "تعال إلى يسوع، فهو الذي عندما تأتى إليه لا يسألك عن شخصيتك، و لا يهمه أن يتحرى عن ماضيك، و لن يفكر إطلاقاً في الحالة التي أنت عليها في حاضرك، تعال إلى يسوع، فهو الذي كل مَنْ يقبل إليه لا يخرجه خارجاً". و لقد أطاع ذلك الشاب صوت الروح القدس الذي كان يتحدث إلى قلبه من خلال كلمات المتكلم، و في نهاية الاجتماع كان وجهه يفيض بشراً و فرحاً لأنه قد انضم إلى عضوية جماعة ما كان يحلم بالانضمام إليها يوماً ما، ألا و هي جماعة أولاد الله المغسولين بدم المسيح.

أيها القارئ العزيز ، أنا لا أعلم ما هي حالتك، و لا ما هو ماضيك، و لا ما هي نظرة الناس إليك ، لكن مهما كنت فإن يسوع على أتم الاستعداد لأن يقبلك، فهل تقبله أنت؟.

بكل وسيلة

لكن قد يسألني أحدهم قائلاً: "كيف يفتش يسوع عن الخطاة؟". و لهذا أقول أن يسوع يستخدم كل الطرق و الوسائل الممكنة للتفتيش عن الخاطئ و الإتيان به إلى حظيرة الإيمان . فهو يفتش عنك من خلال صلوات أحد المؤمنين من أقربائك أو معارفك. أعرف شخصاً نال الخلاص بسبب صلوات أخته القديسة التي ظلت تصلي لأجله بإيمان و لجاجة طوال حياتها إلى أن انتقلت إلى المجد، و بعد و فاتها كان روح الله يتعامل معه بشدة مستخدماً بعض عبارات كانت

أخته ترددها في صلواتها لأجله، إلى أن تحطم قلبه المتحجر و سالت دموع التوبة و الندم من عينيه، و في المكان الذي كانت أخته تركع فيه و تصلى لأجله قبل وفاتها ركع هو و سلم حياته للمسيح.

و أنت، قد يوجد الآن من يصلي لأجلك، و أنت تعلم أن هناك أكثر من شخص قضوا ساعات طويلة في الصلاة لأجل خلاص نفسك الغالية، ربما بعضهم قد انتقل إلى الأبدية و البعض لازالوا يصلون لأجلك حتى الأن، فهل تسمع صوت الفادي الذي يفتش عنك من خلال هذه الصلوات، و هل تقبل إليه و تسلم نفسك له؟.

و قد يفتش عنك يسوع من خلال كلمات المؤمنين الأتقياء الذين كثيراً ما تكلموا معك و طلبوا منك بدموع أن تترك خطاياك و تسلم حياتك للمسيح. أولئك المؤمنون الأمناء المتقدمون غيرة و حماساً لخلاصك. لم يحدثوك عن الخلاص من تلقاء ذواتهم، لكن يسوع الراعي الصالح الذي يفتش عنك و يكلمك على شفاههم، فهل تستمع لحديثه و تطيع صوته؟.

و قد يفتش عنك يسوع بواسطة نبذة يقدمها لك أحدهم، فيلفت نظرك عنوانها الذي يقول : "الأبدية ، أين سوف تقضيها؟"، فتبدأ تفكر في هذا الموضوع الخطير، و هكذا يتعامل معك الروح القدس روح الله و يقودك إلى الخلاص.

يسوع يفتش عنك من خلال الساعات التي تمكث فيها طريح الفراش بسبب المرض، و التي فيها تهدأ فيها أصوات العالم الصاخبة من حولك و تبدأ في هدوء تفكر في الأبدية القادمة

التي لم تحدد بعد موقفك بالنسبة لها. في هدأة الليل، بينما الجميع نيام، يأتي روح الله بجوار فراشك و يحدثك حديثا هامساً في محبة و حنو موجهاً نظرك إلى الفادى الذي طال إهمالك له بالغم من كل ما عمله و ما يعمله من أجلك، و هكذا تجد نفسك و قد ذاب قلبك بفعل محبته فتنحني عند قدميه مسلماً نفسك بجملتها بين يديه.

يسوع يفتش عنك من خلال الحزن المفرط الذي اعتصر قلبك عندما فارقك ابنك الصغير العزيز و انطلق إلى المجد. هناك عند باب القبر، و بعدما واريت جثته في التراب، كان روح الله يتعامل معك بقوة حتى أنك صليت في ذلك الوقت وتعهدت أمام الله أن تعيش له كل أيام حياتك، فهل يا ترى قد حفظت العهد إلى الآن؟. إن يسوع قد أخذ طفلك منك لكي يلفت نظرك إليه، لأنه يحبك و يسعى لخلاص نفسك، فهل سلمت حياتك له؟.

أيها الأعزاء، ليتنا نفتح قلوبنا للفادى و ندعوه ليدخل. إنه واقف على الباب يقرع، فهل تقول له كما قال فيلكس، "اذهب و متى حصلت على وقت أستدعيك"؟ أم تفتح له القلب و ترحب به فيدخل و يصنع هناك وليمة دائمة؟.

اطلبوا الرب

يوجه إلينا إشعياء النبي هذه النصيحة قائلاً: «اُطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ.» (إش ٥٥: ٦)، و هو بذلك يلفت أنظارنا إلى حقيقة هامة وهي أنه لا ينبغي علينا – لمعرفتنا بأن يسوع يفتش عنا – أن نتراخى و نتكاسل و نهمل أمر خلاصنا، بل علينا أن نطلب الرب كما أنه يطلبنا، و أن نفتش

عنه بمثل ما يفتش عنا، و إن توافرت لدينا هذه النية فإننا سرعان ما نلقى الفادى و يلقانا، و نقبله و يقبلنا، فنسعد معه و تتم سعادته بنا.

و يتحدث الرب إلينا على لسان أرميا النبي قائلاً : «وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ.» (إر ٢٩: ١٣). و هذه هي الكيفية التي يجب علينا أن نطلب الرب بها، أن نطلبه بكل قلوبنا. إن ما يتعب الرب، و يتعب خدام الرب، هم أصحاب القلوب المنقسمة، الذين يريدون أن يجمعوا بين الرب و العالم في آن واحد. إن كنا بحق نريد أن نطلب الرب فلنطلبه بكل قلوبنا. و إني أعتقد أن السبب في أن كثيرين لا ينالون الخلاص هو أنهم لا يطلبون الرب بكل قلوبهم، أو إنهم ليسوا مخلصين في طلب الرب.

إن الله شديد الرغبة في أن جميع الناس يخلصون، و لقد برهن على ذلك ببذل ابنه الوحيد للموت نيابة عن البشرية. و ابن الله أيضا شديد الرغبة في خلاص جميع الناس، و لقد قدم دليل على ذلك إذ بذل نفسه ليموت نيابة عنا على الصليب. لذلك ينبغي علينا أن نكون نحن أيضاً مخلصين في السعي للحصول على الخلاص، و لم يحدث أبداً أن إنساناً ما طلب الرب بكل قلبه و لم يجده.

في ليلة ما أتاني شاب و أظهر لي رغبته الشديدة في الحصول على الخلاص، لكنه كان يعتقد أنه لكثرة خطاياه لا يستحق أن يخلص ، كان ينظر إلى نفسه في مرآة كلمة الله فيجد نفسه غير أهل إطلاقاً للحصول على الخلاص، و لذلك

فقد كان قريباً جداً من ملكوت الله فنحن نعلم أنه عندما يكثر الإنسان من الحديث عن نفسه و عن صلاحه و عن بره الذاتي فإنه عندئذ يكون بعيداً عن الله كل البعد، لكن حالما يرى الله بعين الإيمان فإنه يكتشف حقيقة حالته فيصرخ مع إشعياء قائلاً : «فَقُلْتُ: «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ.» (إش ٦: ٥). و يؤيد هذه الحقيقة أنني بمجرد ما أوضحت طريق الخلاص لذلك الشاب إذ به يسلم حياته للمسيح بكل سرور و فرح.

علينا أن نطلب الرب بكل القلب، و عندئذ لابد و أن نجده بكل سرعة. نحن لسنا في حاجة أن نصعد إلى السماء لنجد المسيح، أو أن نهبط إلا الهاوية لنصعد المسيح، أو أن نذهب بعيداً إلى هذه البلدة أو تلك لنفتش عنه هنا أو هناك، فهو أقرب لكل منا من حبل الوريد، إذ نحن به نحيا و نتحرك و نوجد.

مرة سمعت احد الأخوة ينصح شاباً أن يذهب إلى بيته و يعتكف في غرفته الخاصة و يطلب الرب، و إني أقول الحق أمام الله أنني لا أتجاسر أن أوجه هذه النصيحة لأي إنسان، فمن يدريني إن كان سوف يعيش إلى أن يصل إلى بيته سالماً؟ و الكتاب المقدس لا يعلمنا أن نطلب الرب غداً ، أو حتى بعد ساعة واحدة، لكنه يعلمنا أن نطلبه الآن، و حالما نطلبه فإننا سوف نجده واقفاً على باب القلب مستعداً للدخول بمجرد أن ندعوه.

لنستيقظ

يخيل إلي أن الناس في هذه الأيام يغطون في نوم عميق، أو أنهم قد نسوا أو تناسوا أن من يكون مصيره الأبدي هو الجحيم فإنه سوف يبقى هناك إلى الأبد. ليت الرب يوقظ أولئك الغافلين فيدركون خطورة حالتهم و يسعون بإخلاص و اجتهاد في طلب الخلاص. بل ليت الرب يوقظ الكنائس النائمة في هذه الأيام ، فبدلاً من أن يردد أعضاؤها كلمة "آمين" في فتور و برود و موت، يخرجون ليفتشوا عن النفوس الضالة و ينادون للبعيدين عن الله برسالة الخلاص.

ليتنا نهتم بخلاص أنفسنا، و بخلاص عائلاتنا، و بخلاص المحيطين بنا، و لنعط هذا الموضوع الحيوي ما يليق به من العناية و الاهتمام. أيتها الأم، تحدثي إلى أبنتك عن خلاص نفسها. أيها الأب ، تحدث مع أولادك عن مصيرهم الأبدي. و أنت أيتها الزوجة ، حدثي زوجك غير المتجدد عن الخلاص، و أنت أيها الزوج ، حدث زوجتك غير المتجددة عن قبول المسيح. إننا مسئولون عن النفوس التي تحيط بنا، و الوقت منذ الآن مقصر، لذلك لنقم و نعمل فلا نترك فرصة واحدة تسنح لنا إلا و نستثمرها في توصيل رسالة الله إلى النفوس البعيدة.

إذهب و حدث جيرانك عن الخلاص و عرفهم بشخص المسيح. أنت لست بحاجة أن تذهب بعيداً لأن حولك في كل مكان أناس يسرعون إلى الهاوية الأبدية و هم لا يدرون، فهل نقف مكتوفي الأيدي؟ أم نمد لهم يد النجاة و الإنقاذ؟. إننا بحاجة أن نتحدث إلى الناس برسالة الخلاص بنفس الكيفية التي تحدث بها بطرس في يوم الخمسين، و عندئذ لابد و أن ترتفع أصوات

التائبين من حولنا قائلة : «فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَسَأَلُوا بُطْرُسَ وَسَائِرَ الرُّسُلِ: مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟» (أع٢: ٣٧).

بكل القلب

حدث مرة أن إحدى السفن تحطمت في عرض البحر و بدأت في الغرق ، و لم تكن قوارب النجاة الموجودة فيها تكفى لإنقاذ جميع الركاب، فلما غرقت السفينة تماماً – و كانت بعض قوارب النجاة لا تزال بالقرب منها – سبح أحد الركاب من حطام السفينة الغارقة إلى قارب من قوارب النجاة، لكن ركاب القارب رفضوا أن يقبلوه فيما بينهم حيث لم يكن له مكان و لأنهم كانوا في خطر الغرق جميعاً إذا ما إزداد ركاب القارب شخصاً واحداً، أما هو فبسبب حبه للحياة أمسك بالقارب بيده اليمنى و استمر سابحاً، فأستل أحد الركاب سيفه و قطع له يده، فلما فقد يده اليمنى أمسك بالقارب بيده اليسرى، فقطعت تلك اليد أيضاً. عندئذ – و لشدة حبه للحياة و رغبته في النجاة – إذ به يتشبث بالقارب بأسنانه، فلم يستطع الذين في القارب أن يقطعوا رأسه، و اضطروا إزاء أصراره أن يقبلوه فيما بينهم، و هكذا نجا ذلك الشخص من الموت غرقاً.

لقد نجا ذلك الشخص لأنه كان يطلب الحياة بكل قلبه، فلماذا لا نقتدي نحن به فنطلب الحياة الأبدية بكل قلوبنا؟.

مادام يوجد

لكن متى نطلب الرب؟ هل الآن، أم في وقت آخر نظن أنه ربما يكون أكثر مناسبة بالنسبة لنا؟ يقول إشعياء النبي: "اطلبوا

الرب ما دام يوجد"، فترى متى يوجد؟ أو بالأحرى، متى يوجد الرب من وجهة نظرنا؟ هل في خريف العمر، بعدما يبيض الشعر، و يضعف البصر، و يثقل السمع، و يتقدم المرء منحدراً بخطى سريعة إلى مصيره المحتوم؟.

إن الله موجود الآن. إنه قريب من كل الذين يدعونه ، و قد سبق و وعدنا قائلاً : "تطلبونني فتجدونني"، و صوته المحب لا يزال ينادي الجميع قائلاً : «وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ.» (لو١٤: ٧). إنه لا يقول إن كل شيء سوف يعد، لكنه يقول "قد أعد". أيها الشاب ليتك تطلب الرب الآن، فاليوم خير لك من الغد، بل إنك لو طلبته الآن فلابد أن تجده، أما إن انتظرت إلى الغد فربما لا تجده، ليس لأنه قد لا يكون موجوداً في الغد – فهو موجود في كل وقت و في كل مكان- و لكن لأنك لا تضمن أن تكون أنت موجوداً في الغد.

لنفترض أنك استطعت أن تمتلك العالم كله ، فماذا سوف تستفيد؟ هل يقدر العالم أن يعوضك عن خلاص المسيح؟ و هل تستطيع أن تأخذ العالم معك و أنت في طريقك إلى الأبدية؟ ليتك تترك جانباً كل ما يشغلك عن الاهتمام بمصير نفسك الخالدة ، و تتجه بكل قلبك إلى الرب، و حالما تطلبه فإنك بكل تأكيد سوف تجده.

هل سمعت عن شخص واحد طلب الرب و لم يجده؟ هل حدث أن شخصاً ما طلب الرب فأصم الرب أذنيه عن سماع صوته؟ تأمل اللص على الصليب، لقد كان معلقاً بين السماء و الأرض

بجوار السيد، و بالرغم من الآلام المبرحة التي كان يقاسيها فقد انتهز الفرصة و تمم قول إشعياء النبي إذ طلب الرب، "مادام يوجد"، و دعاه "وهو قريب". لم يكن عليه أن يفعل شيئاً أكثر من تلك العبارة الموجزة التي وجهها إلى الرب قائلاً : «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك»، و في الحال أتاه الرد المبارك: " اليوم تكون معي في الفردوس".

لقد دعا بارتيماوس الرب و هو قريب، فنال بغيته و حصل على البصر، و الآلاف، بل الملايين على مر العصور دعوا الرب فتم لهم قول الكتاب أن «وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ.» (أع٢: ٢١). لقد وعد – ووعده أمين و ثابت إلى الأبد – أن من يقبل إليه لا يخرجه خارجاً، فهل تقبل إليه؟.

ارفع قلبك إليه الآن. لا تؤجل ، فإن الأمر لا يحتمل التأجيل، إنه الآن يجلس عن يمين العظمة في الأعالي ، يتطلع من السماء و ينظر إليك نظرات الحب و الحنان، و هو يفتح أحضان محبته و يدعوك إليه، فهل تلبى الدعوة.

إن جميع سكان السماء ينظرون غليك الآن، و هم يودون من كل قلوبهم أن تطيع صوت الروح القدس الذي يكلمك و يحثك لكي تسلم حياتك للمسيح، إنهم في انتظارك و في أيديهم قيثارات ذهبية جميلة، و في اللحظة التي فيها تسلم قلبك لله تصدح موسيقاهم العذبة الشجية معبرة عن أفراح السماء برجوعك إلى بيت الآب. فهل تجيب انتظارهم؟.

بل إن جميع سكان الجحيم يصرخون إليك، من خلال ألسنة النيران التي تلهب أجسادهم، و سحب الدخان التي تخنق

أنفاسهم، و كلما اشتد عذابهم ازداد صراخهم إليك لكي تحذر فلا تنحدر إلى موضع العذاب عينه. إنهم يناشدونك من اجل نفسك الغالية الأبدية أن تسلم حياتك للفادى، فتنجو من ذلك المصير المرعب المخيف الذي ينتظر كل نفس تعصى الله و تستمر في حالة العناد و العصيان.

الرب يسوع يدعوك، و المؤمنون المجاهدون يرحبون بك، و المؤمنون المنتظرون يشجعونك، و سكان الجحيم يحذرونك، فماذا قررت أن تفعل؟.

شكراً لله، فإني أسمعك تصلى بعزم القلب قائلاً : "أيها الرب يسوع، إنني آتى إليك ، فاقبلني" .... آمين.

رقم الإيداع ٧٦٠٥ / ١٩٩٢
I. S. B. N. 977 – 210 – 046 – 0